مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الحذف المقابلي في القران الكريم سورة آل عمران أنموذجاً: دراسة بلاغية

د. عبدالرحمن أحمد عبدالله المقري

أستاذ الادب والبلاغة المساعد

كلية العلوم والآداب بالمخواه – جامعة الباحة

DOI: 10.21608/QARTS.2022.166691.1532

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٧) أكتوبر ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الحذف المقابلي في القران الكريم سورة آل عمران أنموذجًا: دراسة بلاغية

الملخص:

يتناول هذا البحث جانبًا مهمًّا من الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم، فهو يكشف عن فنّ الحذف المقابليّ في سورة آل عمران، حيث عبقت هذه السّورة بعددٍ وافر من نماذج هذا اللّون البديعيّ الّذي يحتاج إلى كثير من التأمّل وإعمال الفكر في تقدير المحذوف؛ حتّى لا يُخلّ بحقائق المعنى القرآنيّ، أو يتعارض مع ما تشير إليه الآيات الكريمة، وهو فنّ قديم عرف عند العرب كمنحى جماليٍّ للأسلوب، وكثر وروده في القرآن الكريم، وقد تناول هذا البحث عشرة نماذج بالدّراسة.

الكلمات المفتاحيّة: الحذف المقابليّ، آل عمران، علماء التّفسير، البلاغيّون، المحذوف، التّقدير.

تقديم:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق سيّدنا محمّد، اللّهمّ صلّ وسلّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

– أما بعد –

فإنّ اللّغة العربيّة قد امتازت بجمالها الأخّاذ، ورصانة أساليبها البيانيّة، ووضوح دلالاتها، وتنوّع طرائق التّعبير فيها، الّتي من أشهرها طريق الحذف بما فيه من الإيجاز والاقتصاد، إذ الكلام به أبلغ، وتأثيره في النّفس أوقع، وفي هذا يقول ابن الأثير: "ومن شروط المحذوف في حكم البلاغة أنّه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غثّ لا يناسب ما كان عليه أوّلًا من الطّلاوة والحسن"(١).

فالحذف البلاغيّ يؤدّي من المعاني ما لا يؤدّي إليه الذّكر والإطالة، وشرط ذلك كما قال ابن الأثير: "أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليلٌ على المحذوف فإنّه لغوٌ من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب"(٢).

وهو من الفنون البلاغيّة التي تتطلّب كثيرًا من الدقة، ويحتاج إلى جهد وتركيز وتفكير وتأمّل لتحديد المحذوف، ولذلك قال عنه عبد القاهر الجرجانيّ: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح

---

(١) المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدّين بن الأثير، قدّمه وعلّق عليه: د. أحمد الحوفيّ، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، الطّبعة الثّانية، ٢٦٨/٢.

(٢) المصدر السّابق، الصفحة ذاتها.

من الذّكر، والصّمت على الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبن"[1].

والحذف في اللّغة العربيّة كثرت صوره، وتنوّعت جوانبه، واختلفت أغراضه، ومن بين تلك الصّور الحذف المقابليّ، حيث تتجسّد فيه الدّقة في التّعبير، والتّريّث في التّقدير، والتّدبر في الصياغة، ممّا يجعل البحث فيه أمرًا يشوبه كثير من الصّعوبة، ناهيك عن الدّقة في تصوّر المحذوف لدى كثيرٍ ممّن اهتمّوا بالدّرس البلاغيّ.

وقد اهتمّ كثير من المفسّرين والبلاغيّين بالبحث عن مكامن إعجاز القرآن وسرّ بلاغته، وفي ضوء هذه المعطيات أردت أن أدرس الحذف المقابليّ بوصفه فنّا بديعيّا قلَّ من اهتمّ بدرسه، فلم ينل نصيبه من اهتمامات الباحثين، فتولّدت فكرة هذا البحث الّذي جعلتُ عنوانَه: الحذف المقابليّ في القرآن الكريم – آل عمران أنموذجًا– دراسة بلاغية.

أهميّة الموضوع وأسباب اختياره.

- كون البلاغة تمثّل جسرًا لفهم مزايا أسلوب القرآن الكريم، وتقرّب من كشف جوانب الإعجاز فيه.
- كون هذه الدّراسة متعلّقة بالقرآن الكريم وخاصّة أنّها الجانب التّطبيقيّ في القرآن الكريم، وهذا أمر يصعب إلّا على الخاصّة.

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ص١٤٦.

- قلّة الدّراسات والبحوث في هذا الموضوع؛ حيث إنّه لم ينل النّصيب الّذي يستحقّه من اهتمام الباحثين، ممّا يجعل فيه شيئًا من الغموض لعدم توافر المراجع الّتي تعين على البحث فيه.

الدّراسات السّابقة:

على الرّغم من أن فنّ الحذف المقابليّ أحد فنون البديع المهمّة، إلا أنّه لم ينل حظّه من اهتمامات الباحثين مثلما اهتم به العلماء قديمًا، وخاصّة علماء التّفسير، وثمّة دراستان في هذا الفنّ البديعيّ، إحداهما قديمة والأخرى حديثة:

فأمّا الدّراسة القديمة فهي الإدراك لفنّ الاحتباك، لبرهان الدّين البقاعي، قال عنها المؤلّف في كتابه نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور: "وهو فنّ عزيز نفيس وقد جمعت فيه كتابًا حسنًا ذكرت فيه تعريفه ومأخذه من اللّغة وما حضرني من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء وسمّيته الإدراك لفنّ الاحتباك[١]، وقال عنها السّيوطيّ: "وأفرده بالتّصنيف من أهل العصر العلّامة برهان الدّين البقاعيّ"[٢].

وأمّا الدّراسة الحديثة فهي الاحتباك في القرآن –رؤية بلاغيّة–، لأحمد فتحي وعدنان عبد السّلام، نُشرت في مجلّة أبحاث كليّة التّربية الأساسيّة، المجلد٤، العدد ٢، عام ٢٠٠٦م، عرَّفا فيها بالاحتباك، وعرضا جهود العلماء في هذا الفنّ تاريخيًّا، مع ذكر شروط الاحتباك واختيار نماذج من سورٍ مختلفة للدّراسة.

---

(١) نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، لبرهان الدين أبي الحسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة) ١/٢٢٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدّين السّيوطيّ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ٣/٢٠٤.

منهج البحث:

وقد استدعت منهجيّة الدّراسة تأطيرها في عشر مسائل سبقتها مقدمة عرضتُ فيها أهميّة الموضوع وأسباب اختياره، والدّراسات السّابقة، والخطة، ومنهج البحث، وتمهيدٌ عرّفتُ فيه بالحذف المقابليّ، وتبعتْها خاتمة بأهمّ النّتائج وفهرس للمصادر والمراجع.

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

المسألة الثّانية: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

المسألة الثّالثة: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

المسألة الرّابعة: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

المسألة السّادسة: قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

المسألة السّابعة: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

المسألة الثّامنة: قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

المسألة التّاسعة: قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

المسألة العاشرة: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

ولقد آثرت الاعتماد على المنهج الوصفيّ؛ لأنّه يتواءم وطبيعة هذه الدّراسة، إذ لا يقف عند اكتشاف المواضع المتعلّقة بالحذف المقابليّ فحسب، وإنّما يقوم بجانب ذلك على التّحليل والتّفسير والتّقييم والموازنة أيضًا.

ومع الجهد المبذول في هذا البحث بالرّغم من صغر حجمه إلا أنّني لا أزعم أنّني قد استوفيته حقّه، أو أدّعي أنّني أحصيت كلّ مواضع الحذف المقابليّ في سورة آل عمران، ولكنّه جهد المقلّ الّذي يدعو الله السّلامة من الخطأ، والعفو عند الزّلل، والثّواب على العمل.

التّمهيد:

تعريف الحذف المقابلي:

الحذف المقابليّ أو الاحتباك كما سمّاه جمهور العلماء، من ألطف أنواع الحذف وأبدعها، وقلّ من تنبّه له أو نبّه عليه من أهل فنّ البلاغة[١]، وقد عرّفه الزّركشي الّذي أعطاه اسم الحذف المقابليّ[٢] في كتابه البرهان بأنّه هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كلّ واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه[٣]، وبهذا اللّفظ عرّفه الجرجانيّ في التّعريفات[٤].

وعرّفه البقاعيّ بتعريفين في قوله: "وهو أن يؤتي بكلامين يحذف من كلّ منهما شيء إيجازًا يدلّ على ما ذكر من كلٍّ على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى هو أن يحذف من كلّ جملة إيجازًا ويُذكر في الجملة الأخرى ما يدلّ عليه"[٥]، وأمّا السّيوطيّ فقد عرّفه بقوله: "أن يحذف من الأوّل ما أثبت نظيره في الثّاني ومن الثّاني ما أثبت نظيره في الأوّل"[٦]، وبهذا عرّفه الكفويّ في الكليّات[١].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢٠٤/٣.

(٢) اختار الباحث هذا الاسم رغم أنّ اسم الاحتباك أشهر منه لوضوح دلالته على المقصود وكونه الأسبق.

(٣) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدّين الزركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطّبعة الأولى، ١٣٧٦هـ، ١٢٩/٣.

(٤) انظر: التّعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء، دار الكتب العلميّة (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص ١٢.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٦٣/٤.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، ٢٠٤/٣، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدّين السّيوطيّ، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ٢٤٣/١.

ومثّل له الزّركشيّ بآيات منها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾[٢]، قال: "الأصل فإن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون"[٣]، ومثّل له الشّريف الجرجانيّ بقول الرّاجز:

علفتها تبنًا وماءً باردًا[٤]

قال: أي: علفتها تِبنًا، وسقيتها ماءً باردًا.

(١) انظر: الكليّات، لأبي البقاء الكفويّ، تحقيق: عدنان درويش ومحمّد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة (بيروت)، ص ٥٧.

(٢) سورة هود، آية ٣٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن، ١٢٩/٣.

(٤) بلا نسبة في الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، الطّبعة الرّابعة، ٤٣٣/٢، والمقاصد النّحوية، لبدر الدّين العينيّ، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة (القاهرة)، الطّبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ١٠٨١/٣، وشرح أبيات مغني اللّبيب، لعبد القادر البغداديّ، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ٣٢٣/٧. قال العينيّ: هذا رجز مشهور بين القوم، ولم أر أحدا عزاه إلى راجزه، وقال البغداديّ: وقائله مجهول لم يعرف.

المسألة الأولى:

قوله تعالى: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[1].

حول معنى الآية:

لقد كان لكم أيّها الكافرون (مشركو مكّة) عبرة ودلالة على أنّكم ستُغلبون، وعلى أنّ الله معزّ دينه، وناصر رسوله، ومُعْلِ أمره في فرقتين التقتا يوم بدر للقتال، فئة تقاتل طاعة لله، وهم النّبيّ وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، معهم فرسان وستّ أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة، وفئة أخرى وهم مشركو قريش، وكانوا قريبين من ألف، وقد رأوا المسلمين مثلَى عددهم، وأراهم الله ذلك ليهابوهم، ويجبنوا عن قتالهم، وكان ذلك مددًا من الله تعالى، حيث أمدّهم بالملائكة، وقد رأوا ذلك بعيونهم الباصرة، وتلك معجزة من الله يقوّي بها أتباع نبيه مع قلّتهم وانعدام عدّتهم على أهل الشّرك بكثرتهم ووفرة عدّتهم ليكون في ذلك آية وموعظة لذوي العقول والبصائر[2].

الحذف المقابليّ:

تحتوي هذه الآية الكريمة على حذف مقابليّ، فإنّ في قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ يدلّ على أنّ الفئة الأولى التي ذُكرت بدون قيد مؤمنة، وأيّد ذلك لازمه وهو

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٣.

(٢) انظر: محاسن التنزيل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٨هـ، ٢/٢٩٠.

القتال في سبيل الله في قوله تعالى: ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، كما أنّ قوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيه دلالة على أنّ الفئة الكافرة تقاتل في سبيل الشّيطان.

وقد أشار إلى هذا الحذف كثيرٌ من العلماء، منهم أبو حيّان حيث يقول: " أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وفئة أخرى تقاتل في سبيل الشّيطان، فحذف من الأولى ما أثبت مقابله في الثّانية، ومن الثّانية ما أثبت نظيره في الأولى، فذكر في الأولى لازم الإيمان، وهو القتال في سبيل الله، وذكر في الثّانية ملزوم القتال في سبيل الشّيطان، وهو الكفر"(١)، ونقله عنه عبد الخالق عضيمة في دراسات لأسلوب القرآن الكريم(٢)، وكذلك السّيوطيّ حيث يقول: "ومن لطيفه قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت"(٣).

وقد أكّد البقاعيّ على أنّ الآية من قبيل الحذف المقابليّ فقال: "فالآية كما ترى من وادي الاحتباك، وهو أن يؤتى بكلامين يُحذف من كلّ منهما شيءٌ إيجازًا، يدلّ ما ذكر من كلّ على ما حُذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يُحذف من كلّ جملة شيءٌ إيجازًا ويُذكر في الجملة الأخرى ما يدلّ عليه"(٤).

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الشّيطان، فَحُذِف النعت وهو لفظ (مؤمنة)

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيّان الأندلسيّ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت)، ط١، ١٤٢٠هـ، ٤٥/٣.

(٢) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لعبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ٣٩٤/١٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢٠٥/٣. وانظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ٢٤٤/١.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٦٢/٤.

في الأوائل لدلالة مقابله في الأواخر لفظ (كافرة)، وحُذِفَ من الأواخر جملة (تقاتل في سبيلِ الشيطان) لدلالة مُقَابِله في الأوائل، وهي جملة (تُقاتل في سبيل الله)[1].

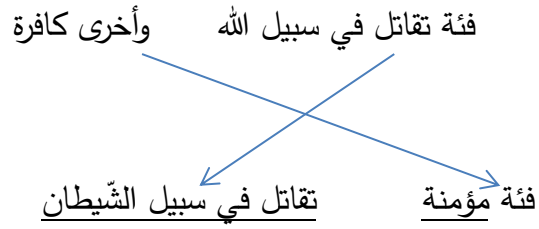

(١) انظر: البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حبنّكة الميداني، دار القلم (دمشق)، الدار الشّامية (بيروت)، ط١، ١٤١٦هـ، ٣٤٧/١.

المسألة الثّانية

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(١).

حول معنى الآية:

إنّ هذه الآية من باب التّرغيب والتّرهيب، حيث يجد كلّ إنسان يوم القيامة جزاء عمله حاضرًا لا يغيب عنه، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ، فإن كان عمله حسنًا سرّه ذلك وأفرحه، وإن كان عمله سيّئًا تمنّى أن لا يرى ذلك العمل، وأحبّ أن يكون بينه وبين عمله القبيح غاية في نهاية البعد أي مكانًا بعيدًا كما بين المشرق والمغرب خوفًا من عقاب الله، مع أنّه جلّ وعلا رحيم بخلقه، ويحبّ لهم أن يستقيموا على الصراط المستقيم(٢).

الحذف المقابليّ في الآية:

تحتوي هذه الآية الكريمة على الحذف المقابليّ، حيث إنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ يدلّ على أنّ الشرّ يكون محضرًا كذلك، وقد دلّ على ذلك آيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٣)، ففي الآية أنّ الشرّ يكون حاضرًا كما أنّ الخير يكون حاضرًا، وقوله تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا

---

(١) سورة آل عمران، آية ٣٠.

(٢) انظر: صفوة التّفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابونيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع (القاهرة)، الطّبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١/١٧٨.

(٣) سورة الزلزلة، آية ٧ – ٨.

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، حيث أخبرت الآية أنّ المجرمين يجدون ما عملوا من شرٍّ حاضرًا يوم القيامة. لكنّه اكتُفي بذكر حضور الخير عن ذكر حضور الشرّ.

وقوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾، يدلّ على أنّ عامل الخير يسرّ بما عمل من الخير ويودّ أنّه لو أكثر منه، فاكتفى بذكر حسرة المسيء على عمله ذلك اليوم، وودّه لو أنّ بينه وبين تلك الأعمال أمدًا بعيدًا عن ذكر سرور المحسن بعمله وودّ الإكثار منه.

وقد أشار إلى هذا الحذف البلاغيّ كثيرٌ من علماء التّفسير، فمنهم من أشار إلى الحذف في الجزء الأوّل فقط، كالزمخشريّ حيث يقول: " أي: يوم القيامة حين تجد كلّ نفس خيرها وشرّها حاضرين"[2]، والقاسميّ حيث يقول: "والتقدير: وتجد ما عملت من سوء محضرا"[3].

ومنهم من أشار إلى الحذف في الجزء الثّاني فقط كعبد الكريم القشيريّ حيث يقول: "ودّ أهل الطاعات أن لو استكثروا منها، وودّ أهل المخالفات أن لو كبحوا لجامهم عن الرّكض فى ميادينهم"[4].

---

(١) سورة الكهف، آية ٤٩.

(٢) الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطّبعة الثّالثة، ١٤٠٧هـ، ٣٥٢/١.

(٣) محاسن التّنزيل ٣٠٧/٢.

(٤) لطائف الإشارات (تفسير القشيريّ)، لعبد الكريم بن هوازن القشيريّ، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر)، الطّبعة الثّالثة، ٢٣٤/١.

ومنهم من أشار إلى الحذف في الجزأين جميعًا، كالبغويّ حيث يقول: "أي: تجد محضرًا ما عملت من الخير والشرّ فتسرّ بما عملت من الخير"(١)، وابن كثير حيث يقول: "يعني: يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشرّ، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (سورة القيامة: ١٣)، فما رأى من أعماله حسنا سرّه ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه، وودّ لو أنّه تبرّأ منه، وأن يكون بينهما أمدٌ بعيد، كما يقول لشيطانه الّذي كان مقترنا به في الدّنيا، وهو الّذي جرّأه على فعل السّوء: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (سورة الزخرف، آية ٣٨)"(٢)، ومحمّد رشيد رضا حيث يقول: "وأمّا عمل السّوء فتودّ كلّ نفس اقترفته لو بعد عنها ولم تره وتؤخذ بجزائه، وهذا يدلّ على أنّ عمل الشّر يكون محضرًا أيضا، ولكنّه عبّر عنه بما ذكر ليدلّ على أن إحضاره مؤذ لصاحبه يودّ لو لم يكن، أي: ومنه يعلم أنّ إحضار عمل الخير يكون غبطة لصاحبه وسرورا"(٣).

وذكر البقاعيّ أنّ الآية من قبيل الحذف المقابليّ حيث إنّ ذكر إحضار الخير فيه دلالةٌ على حضور السّوء، ووُدِّ بُعد السّوء دلالة على وُدِّ لزوم الخير(٤).

---

(١) معالم التنزيل (تفسير البغوي)، لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغويّ، تحقيق: محمّد عبد الله النّمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الطبعة الرّابعة، ١٤١٧هـ ٢٦/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الطبعة الثّانية ١٤٢٠هـ، ٣١/٢.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمّد رشيد بن عليّ رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢٣٢/٣.

(٤) نظم الدرر، ٣٣٠/٤.

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خيرٍ محضرًا فتودّ لو ألزمه وأكثر منه، وما عملت من سوء محضرًا تودّ لو أنّ بينها وبينه أمدًا بعيدًا.

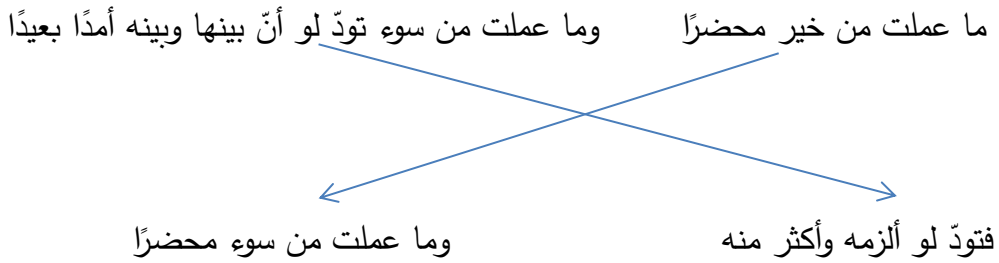

المسألة الثّالثة

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[١].

حول معنى الآية:

هذه الآية أمر من الله عزّ وجلّ لكلّ أحد خاصّ وعامّ بطاعة الله والرّسول، ومن يخالف هذا الأمر فإنّ الله لا يحبّ الكافرين، فدلّ ذلك على أنّ مخالفة أمره جلّ وعلا كفر، والله لا يحبّ من اتَّصف بذلك، وإن ادّعى وزعم في نفسه أنّه محبّ لله ويتقرّب إليه باتّباع الرّسول _صلّى الله عليه وسلّم –، والدّخول في طاعته، واتّباع شريعته[٢].

الحذف المقابليّ:

تحتوي هذه الآية الكريمة على الحذف المقابليّ، حيث إنّ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يدلّ على محذوف، وهو –والله أعلم–: فإن أقبلوا وأسلموا؛ وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ أمرٌ وهو يحتمل أحد نتيجتين، الإقبال عليه وقبوله، أو التّولّي عنه ورفضه، فذكرُ التّولّي يدلّ على الإقبال، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، يدلّ على محذوفٍ في الأوّل وهو –والله أعلم–: فقد اهتدوا، لأنّ ذكر الكفر يدلّ على الهداية أوّلا.

وقد أشار أبو حيّان إلى الحذف من أحد الجزأين حيث يقول: "والطّباق المقدّر في قوله: فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولّوا فإنّما عليك البلاغ، ووجهه: أنّ الإسلام الانقياد

(١) آل عمران، آية ٣٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٣٢/٢.

إلى الإسلام، والإقبال عليه، والتّولّي ضدّ الإقبال، والتّقدير: وإن تولّوا فقد ضلّوا، والضلالة ضد الهداية"[١].

وأمّا البقاعيّ فقد ذهب إلى تقدير المحذوف بقوله: "فأصل نظمها: فإن تولّوا فإنّ الله لا يحبّهم لكفرانهم، وإن أقبلوا فإنّ الله يحبّهم لإيمانهم، فإنّ الله لا يحبّ الكافرين، والله يحبّ المؤمنين، إثبات التّولية في الأوّل يدلّ على حذف الإقبال من الثّاني، وإثبات الكراهية في الثّاني يدلّ على حذف مثلها في الأوّل"[٢].

ويدلّ على المحذوف الّذي هو: فقد اهتدوا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[٣].

وتقدير الآية على رأي الباحث –والله أعلم–: قل أطيعوا الله والرسّول فإن أقبلوا وأسلموا فقد اهتدوا، وإن تولّوا فإنّ الله لا يحبّ الكافرين.

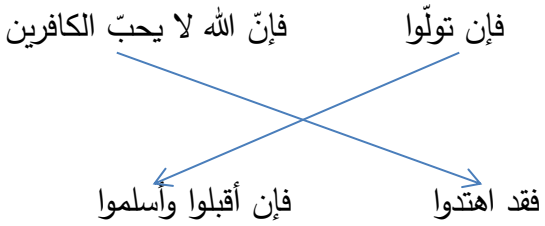

(١) البحر المحيط، ٣/٧٩.

(٢) نظم الدّرر، ٤/٣٣٩ – ٣٤٠.

(٣) سورة البقرة، آية ١٣٧.

المسألة الرّابعة

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١].

حول معنى الآية:

هاتان الآيتان خطابٌ لبني إسرائيل وغيرهم في نبيّ الله عيسى عليه السّلام، يخبر الله فيهما أنّ من جحدوا وخالفوا ملّته، وكذّبوا بما جاءهم به من الحقّ، وقالوا فيه الباطل، وأضافوه إلى غير الّذي ينبغي أن يضيفوه إليه، من اليهود والنّصارى وسائر أصناف الأديان، فإنّه يعذّبهم عذابًا شديدًا، أمّا في الدّنيا فبالقتل والسّباء والذّلة والمسكنة، وأمّا في الآخرة فبنار جهنّم خالدين فيها أبدًا، وأمّا الّذين آمنوا به وأقرّوا بنبوّته وبما جاءهم به من الحقّ من عند الله، ودانوا بالإسلام الّذي بُعث به، وعملوا بما فرض الله على لسانه، وشرع من شرائعه، فيعطيهم جزاء أعمالهم الصّالحة كاملا لا يبخسون منه شيئا ولا ينقصونه[٢].

الحذف المقابليّ:

تحتوي هاتان الآيتان على الحذف المقابليّ، حيث إنّ قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ يدلّ على محذوفٍ تقديره –والله أعلم–: فأمّا

---

(١) سورة آل عمران، آية ٥٦–٥٧.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطّبريّ)، لمحمّد بن جرير الطّبريّ، تحقيق: الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التّركي، دار هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٤٦٥/٦.

الّذين كفروا وعملوا من الصّالحات فأُحبط أعمالهم، ويدلّ على هذا الحذف آياتٌ كثيرةٌ من الذّكر، منها قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[1]، حيث صرّح عزّ وجلّ بأنّه سيحبط كلّ ما عمله الكفّار من الأعمال الصّالحة يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3]، بيّن الله عزّ وجلّ في هذه الآيات الكريمة أنّ ما يعمله الكفّار من أعمال صالحة كالنّفقات لن يُقبل عنهم منها شيئا، وسيجعلها سبحانه وتعالى هباءً منثورًا.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يدلّ على محذوفٍ تقديره –والله أعلم–: ويدخلهم في رحمته، فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: فأمّا الّذين كفروا وعملوا من الصّالحات فأُحبط أعمالهم وأعذّبهم ...، وأمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فيوفّيهم أجورهم ويدخلهم في رحمته، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[4].

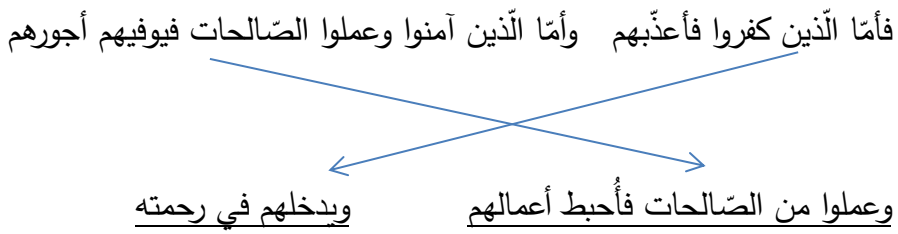

(١) سورة الفرقان، آية ٢٣.

(٢) سورة التوبة، آية ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٦ – ١١٧.

(٤) سورة الجاثية، آية٣٠.

المسألة الخامسة

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١].

حول معنى الآية:

بيّن الله عزّ وجلّ في هذه الآية حكم حجّ بيته الحرام بعد ما ذكر شيئًا من فضله وبعض الأحكام المتعلّقة به في الآيات السّابقة، وهو أنّ حجّه فرضٌ له على المستطيعين من النّاس، وبيّن كذلك أنّ جحود ما ألزم به من حجّه كفرٌ، وأنّ من أنكره وكفر به فإنّه غنيّ عنه وعن حجّه وعمله وعن سائر الخلق من الجنّ والإنس[٢].

الحذف المقابليّ:

وفي هذه الآية الكريمة حذف مقابليّ، حيث إنّ قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ إيجابٌ لحجّ البيت على المستطيع، وهو يدلّ على محذوف قبل الجزء الثّاني من الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ تقديره –والله أعلم–: ومن جحد وجوب الحجّ وكفر، كما أنّ هذا الجزء الثّاني من الآية يدلّ على محذوفٍ قبله تقديره –والله أعلم–: فمن آمن.

(١) سورة آل عمران، آية ٩٧.

(٢) انظر: جامع البيان ٦١٨/٥.

وقد أشار البقاعيّ إلى الحذف في هذه الآية في قوله إنّ إثبات فرضه أوّلًا يدلّ على كفر من أباه ثانيًا، ومن كفر ثانيًا يدلّ على إيمان من حجّه أوّلًا[1].

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا، فمن آمن بفرضيّته ...، ومن جحد فرضيّته وكفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين.

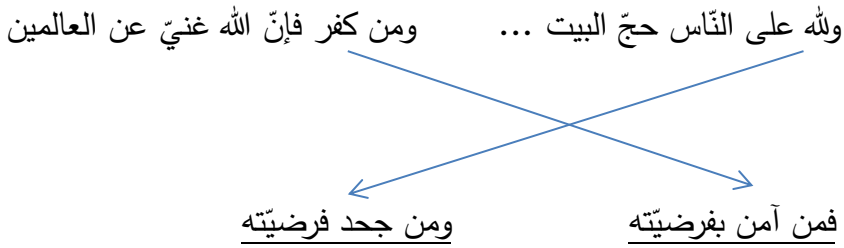

(١) نظم الدّرر، ٥/١٠.

المسألة السّادسة

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

حول معنى الآية:

يخاطب الله عز وجل أصحاب رسوله صلّى الله عليه وسلّم – وهو خطاب في صورة الأمر – قيل وهم الأوس والخزرج بأن يكونوا دعاة إلى الخير، وهو ما فيه صلاح الدّين والدّنيا، ينادون بكلّ ما يقرّبهم إلى الجنّة ويبعدهم عن النّار، وينهون عن كلّ منكر يقرّبهم إلى النّار ويبعدهم عن الجنّة، ولا جرم فهم الّذين تلقّوا الشّريعة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فهم أولى النّاس بتبليغها، وجزاؤهم أن يكونوا من الفائزين، وألّا يكونوا كاليهود والنّصارى الّذين تفرّقوا في الدّين واختلفوا فيه بسبب اتّباع الهوى بعدما جاءتهم الآيات البيّنات، والدّلائل المانعة من الاختلاف والافتراق، ممّا يسبّب إلحاق العذاب الأليم بهم يوم القيامة، وهذا مقابل الفلاح والفوز للفريق الأوّل[٢].

الحذف المقابلي:

هذه الآية الكريمة تحتوي على حذفٍ مقابليّ، وتتمثّل صورته في أنّ قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يدلّ على محذوفٍ في الآية الثّانية تقديرها

(١) آل عمران، آية ١٠٤– ١٠٥.

(٢) ينظر: محاسن التنزيل ٣٧٣/٢ ، ٣٧٤، التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر ٤٢/٤– ٤٣، صفوة التفاسير ٢٢١/١.

–والله أعلم: وأولئك هم الخاسرون، كما أنّ قوله تعالى في الآية الثّانية: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يدلّ على محذوفٍ في الآية الأولى تقديره –والله أعلم–: لهم نعيم مقيمٌ.

وقد أشار البقاعيّ إلى هذا الحذف في قوله إنّ في إثبات المفلحون أوّلًا دلالةً على الخاسرون ثانيًا، و أنّ العذاب العظيم ثانيًا يدلّ على النّعيم المقيم أولًا [1].

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولهم نعيمٌ مقيمٌ، ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات، وأولئك هم الخاسرون ولهم عذابٌ عظيمٌ.

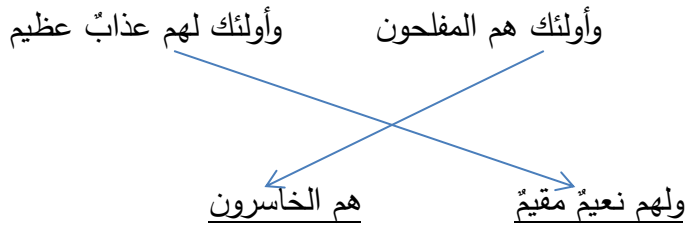

(١) نظم الدّرر، ٥/٢١.

المسألة السّابعة

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

حول معنى الآية:

يصوّر الله جلّ وعلا جانبًا من أهوال يوم القيامة، حيث تبيضّ وجوه المؤمنين بالإيمان والطّاعة وبما لها من المآثر الحسنة، وتسودّ وجوه الكافرين بالكفر والمعاصي وبما لها من الجرائر السّيئة، ويومَها يقال لأهل النّار الّذين اسودّت وجوههم توبيخًا وتقريعًا أكفرتم بعد إيمانكم وقد وُضِّحت لكم الآيات بالدّلائل؟ فذوقوا إذن أشدّ العذاب جرّاء كفركم، أمّا السّعداء الأبرار الّذين ابيضّت وجوههم إشراقًا وبهاء بأعمالهم الصّالحات فهم في الجنّة مخلّدون لا يخرجون منها أبدًا[٢].

الحذف المقابليّ:

يرى البقاعيّ أنّ في هاتين الآيتين حذفًا مقابليًّا تتمثّل صورته في أنّ إثبات الكفر في ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ دليلُ إرادة الإيمان ثانيًا، وأنّ إثبات الرّحمة في ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ دلّ على حذف اللّعنة أولًا [٣].

فأمّا في الصّورة الأولى وهي دلالة إثبات الكفر على الإيمان فواضحٌ، وأمّا الصّورة الثّانية وهي دلالة إثبات الرّحمة على حذف اللّعنة، فالّذي يراه الباحث هو أنّه

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٦- ١٠٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٤/٤٤- ٤٥، صفوة التفاسير، ١/٢٢١-٢٢٢.

(٣) نظم الدرر ٥/٢٢.

ليس ثمّ محذوفٌ كما ذهب إليه البقاعيّ؛ لأنّ معنى قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ في جنّته ونعيمها وما أعدّ لأهلها فيها[1]، ويقابله قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: العذاب المعهود، وهو عذاب النّار[2]، فلا يكون فيه حذفٌ على هذا، لا سيّما أنّ الأصل في الكلام عدم الحذف.

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: فأمّا الّذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأمّا الّذين ابيضّت وجوههم فقد آمنوا في رحمة الله هم فيها خالدون.

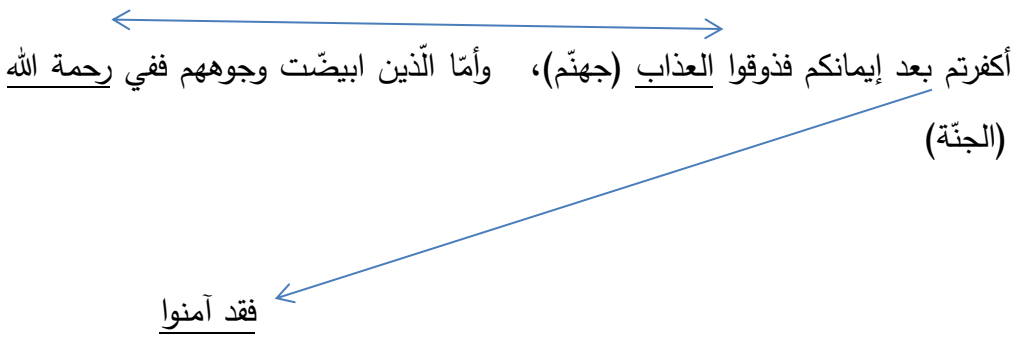

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخيّ، تحقيق: عبد الله محمود شحّاته، دار إحياء التّراث (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٩٤/١، وجامع البيان ٩٦/٧.

(٢) انظر: إرشاد العقل السّليم (تفسير أبي السّعود)، لمحمّد بن محمّد أبي السّعود العمادي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ٦٩/٢، وتيسير الكريم الرّحمن، لعبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، مؤسّسة الرّسالة، ط١، ١٤٢٠، ص ١٤٢.

المسألة الثّامنة

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(١).

حول معنى الآية:

هذه الآية تسلّي المؤمنين فيما نزل بهم من الهزيمة والجروح والقتل يوم أحدٍ، وتبيّن لهم حكمة ذلك، فيقول عزّ وجلّ إن مسّتكم هذه المصيبة فإنّه قد أصاب أعداءكم الكفّار مثله وذلك يوم بدرٍ، ثمّ بيّن لهم أنّه يداول الأيّام ليتبيّن المؤمن الصّادق في إيمانه من المنافق، وليتّخذ من المؤمنين الصّادقين شهداء، لأنّ الشّهادة من أرفع المنازل عند الله، ولا سبيل إلى نيلها إلّا بما يحصل من وجود أسبابها(٢).

الحذف المقابليّ:

في هذه الآية الكريمة حذف مقابلي، حيث إنّ قول الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدلّ على محذوف تقديره –والله أعلم–: وليعلم الّذين كفروا أو نافقوا، فإنّه فُسّر (الظّالمين) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ بالمنافقين(٣)، وبالكافرين(٤)، وهذا

(١) سورة آل عمران، من آية ١٤٠.

(٢) انظر: تفسير السّعدي، ص ١٤٩.

(٣) انظر: تفسير مقاتل، ٣٠٤/١، وجامع البيان ٢٤٤/٧.

(٤) انظر: تفسير ابن المنذر، لأبي بكر ابن المنذر النّيسابوري، تحقيق: سعد بن محمّد السّعد، دار المآثر (المدينة المنورة)، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٢٤/١.

المقدّر جاء مصرّحا به في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾[١].

وأشار إلى هذا الحذف ابن جرير الطبريّ بقوله: "فتأويل الكلام: وليعلم الله الّذين آمنوا منكم، أيّها القوم، من الّذين نافقوا منكم، نداول بين النّاس، فاستغنى بقوله: "وليعلم الله الّذين آمنوا منكم"، عن ذكر قوله من الّذين نافقوا لدلالة الكلام عليه"[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، يدلّ على أنّ الله يحبّ المؤمنين، فحبّه للمؤمنين والّذين يجاهدون في سبيله جاءت في نصوصٍ من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[٣].

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: وليعلم الله الّذين آمنوا ويتّخذ منهم شهداء والله يحبّ المؤمنين، وليعلم الّذين نافقوا والله لا يحبّ الظالمين، فحُذف في الأوّل ما دلّ عليه شيءٌ في الثّاني، وحُذف في الثّاني ما دلّ عليه شيءٌ في الأوّل.

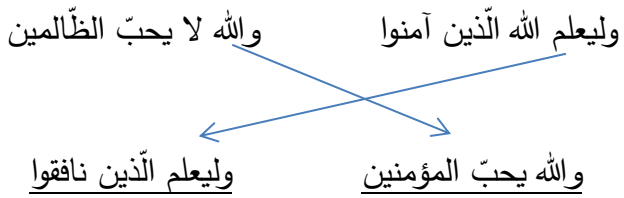

(١) سورة آل عمران، ١٦٦-١٦٧.

(٢) جامع البيان ٢٤٢/٧.

(٣) سورة الصف، آية ٤.

المسألة التّاسعة

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١].

حول معنى الآية:

سبب نزول هذه الآية أنّه لما كان يوم أُحُد انهزم النّاس، فقال بعض النّاس: قد أصيب محمّدٌ فأعطوهم بأيديكم، فإنّما هم إخوانُكم، وقاد بعضهم: إن كان محمّد أصيب ألا ما تمضون على ما مضى عليه نبيّكم حتّى تلحقوا به؟ فنزلت الآية[٢]. ورُوي عن عمر رضي الله عنه أنّه قال: تفرّقنا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم أُحُدٍ فصعدتُ الجبل فسمعت يهود تقولُ قُتل محمّد، فقلت لا أسمع أحدا يقولُ قُتل محمّدٌ إلّا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والنّاس يتراجعون فنزلت الآية. ورُوي عن الرّبيع قال: لما أصابهم يوم أُحُد ما أصابهم من القرح وتداعوا نبيّ الله قالوا: قد قُتل، فقال أناسٌ: لو كان نبيًّا ما قُتل، وقال أناسٌ: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيّكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به فأنزل الله الآية[٣].

يعني أنّ محمّدا صلّى الله عليه وسلّم إنّما هو فيما الله به صانعٌ من قبضه إليه عند انقضاء مدّة أجله كسائر رسله إلى خلقه الّذين مضوا قبله، وماتوا عند انقضاء مدّة

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٤٤.

(٢) أسباب النّزول، لأبي الحسن علي بن أحمد النّيسابوريّ، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، درا الإصلاح (الدّمام)، الطّبعة الثّانية ١٤١٢هـ، ص ١٢٥.

(٣) لباب النّقول، لجلال الدّين السّيوطيّ، ضبطه وصحّحه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ص ٤٨.

آجالهم، أفائن مات محمّد، أيّها القوم، لانقضاء مدّة أجله، ارتددتم عن دينكم الّذي بعث الله محمّدا بالدّعاء إليه، ورجعتم عنه كفّارا بالله بعد الإيمان به؟ ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافرا بعد إيمانه فلن يوهن ذلك عزّة الله ولا سلطانه، ولا يدخل بذلك نقص في ملكه، بل نفسَه يضرّ بردّته، وحظَّ نفسه ينقص بكفره، وسيُثيبُ الله من شكره على توفيقه وهدايته إيّاه لدينه، بثبوته على ما جاء به محمَّدٌ صلّى الله عليه وسلّم إن هو مات أو قُتل، واستقامتِه على منهاجه، وتمسّكِه بدينه وملّته[1].

الحذف المقابليّ:

ففي هذه الآية الكريمة حذف مقابليّ، تتمثّل صورته في أنّ قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ يدلّ على محذوفٍ في الأوّل، وهو أنّ الله سيعذّب من ينقلب على عقبيه لارتداده عن الإسلام، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يدلّ على محذوف مع الثّاني تقديره –والله أعلم–: ومن ثبت على إيمانه.

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: ومن ينقلب على عقبيه فسيعذّبه الله، ومن ثبت على إيمانه فسيجزي الله الشّاكرين.

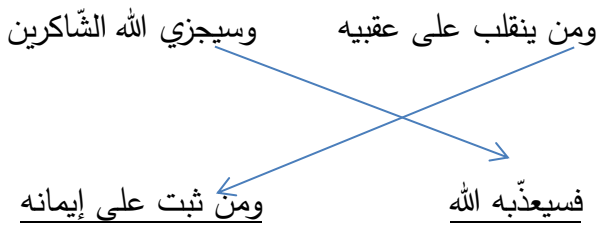

(١) جامع البيان ٢٥٢/٧.

(٢) سورة البقرة:، آية ٢١٧.

وقد أشار البقاعيّ إلى هذا الحذف، وقال إنّ إثبات الانقلاب وعدم الضّرّ أوّلًا دليلٌ على حذف ضدّه ثانيًا، والجزاء ثانيًا دليلٌ على حذف مثله أوّلا [١]. وهذا يقتضي أن يثبت لله النّفع بضدّ الانقلاب الّذي هو الثّبات على الإيمان، وفي هذا نظرٌ، فكما أنّ المنقلب على عقبيه لا يضرّ الله شيئا وإنّما يضرّ نفسه، فالثّابت على الإيمان لن ينفع الله شيئًا، وإنّما ينفع نفسَه بثباته، كما ثبت معنى ذلك في الحديث القدسيّ الّذي أخرجه الإمام مسلمٌ وغيره عن أبي ذرّ، عن النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: "... يا عبادي إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني"[٢]، إلّا إن كان مقصوده بـ(ضدّه) إثبات الانقلاب خاصّة، وهو الظّاهر –والله أعلم–.

(١) نظم الدرر، البقاعي، ٨٣/٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربيّ (بيروت)، باب تحريم الظّلم، حديث رقم: ٢٥٧٧، ١٩٩٤/٤.

المسألة العاشرة

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

حول معنى الآية:

هذه الآية استفهامٌ إنكاريّ يقول الله عزّ وجلّ فيها أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه، وعمل بطاعة الله في تركه ذلك، وفي غيره ممّا أمره به، متّبعا في كلّ ذلك رضا الله، ومجتنبا سخطه كمن انصرف متحمّلا سخط الله وغضبه، فاستحقّ بذلك سكنى جهنّم؟ ليسا سواءً[2].

الحذف المقابليّ:

وهذه الآية الكريمة تحتوي على حذفٍ مقابليّ تتمثّل صورته في أنّ قوله تعالى: ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ يدلّ على محذوف في الأوّل تقديره –والله أعلم–: فباء برضاه ومأواه الجنّة، كما أنّ قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ﴾ يدلّ على محذوف في الثّاني تقديره –والله أعلم–: كمن اتّبع سخط الله.

وقد أشار أبو حيّان إلى الحذف في الآية بقوله: "وفي الآية من حيث المعنى حذف، والتّقدير: أفمن يتّبع ما يؤول به رضا الله عنه فباء برضاه، كمن لم يتّبع ذلك فباء بسخطه؟"[3]. وكذلك السّمين الحلبيّ حيث قال: "ويفهم من مقابل ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٢.

(٢) جامع البيان ٣٦٦/٧.

(٣) البحر المحيط ٤١١/٢.

مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ أنّ من اتّبع رضوان الله كان مأواه الجنّة، ولم يذكرها هنا ليكون أبلغ في الزّجر"[١].

فكأنّ تقدير الآية –والله أعلم–: أفمن اتّبع رضوان الله فباء برضاه ومأواه الجنّة، كمن اتّبع سخط الله فباء بسخط من الله ومأواه جهنّم.

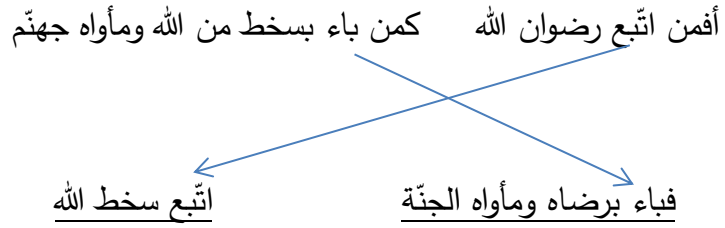

(١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميّة (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ٣٢٣/٢.

الخاتمة

بعد أن أعانني الله ووفّقني في هذه الرّحلة الاستكشافيّة عن فنّ الحذف المقابليّ في سورة "آل عمران" الّتي آمل أن يكون التّوفيق قد حالفني فيه، وحسبي أنّني بذلت الجهد، وأخلصت النيّة، أعرض أهمّ النّتائج الّتي توصّل البحث إليها:

- إحساس العلماء القدامى بجماليّات أسلوب الحذف المقابليّ في القرآن الكريم كظاهرة فنّية لفتت انتباههم.
- تعدّدت الأسماء الّتي أطلقت عليه قديمًا وحديثًا، ولكنّ أشهرها والمتداول على الساحة العلميّة هو اسم الاحتباك.
- يُعد الإمام برهان الدّين البقاعيّ أكثر العلماء إشارة إلى هذا الفنّ البديعيّ، وكان للفتاته البلاغيّة أثر كبيرٌ فيمن جاء بعده.
- توسّع البقاعيّ في هذا الفنّ البديعيّ، حيث إنّه يدخل فيها مواضع لا تدخل إلّا بشيءٍ من التكلّف.
- كثرة مواضع الحذف المقابليّ في سورة "آل عمران"، فقد تكون هناك مواضع أخرى لم يتمكّن البحث من التّوصل إليها، ولعلّ قراءة أخرى تأتي بالمزيد.
- ترك القرآن الكريم بهذا الحذف المقابليّ مساحة للقارئ في لمشاركة، وإعمال ذهنه، واستخراج الدّرر والأحكام من نظمه المحكم، وآياته المعجزة الصّالحة لكلّ زمان ومكانٍ.

المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدّين السّيوطيّ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

إرشاد العقل السليم (تفسير أبي السّعود)، لمحمّد بن محمّد أبي السّعود العمادي، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

أسباب النّزول، لأبي الحسن علي بن أحمد النّيسابوريّ، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، درا الإصلاح (الدّمام)، الطّبعة الثّانية ١٤١٢هـ.

الأعلام، لخير الدّين الزركليّ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

البحر المحيط في التّفسير، لأبي حيان الأندلسيّ، صدقي محمّد جميل، دار الفكر (بيروت)، ١٤٢٠هـ.

البرهان في علوم القرآن، لبدر الدّين الزركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطّبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حبنّكة الميداني، دار القلم (دمشق)، الدار الشّامية (بيروت)، ط١، ١٤١٦هـ.

التحرير والتنوير (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر.

التّعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء، دار الكتب العلميّة (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

تفسير ابن المنذر، لأبي بكر ابن المنذر النّيسابوري، تحقيق: سعد بن محمّد السّعد، دار المآثر (المدينة المنورة)، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمّد رشيد بن عليّ رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الطبعة الثّانية ١٤٢٠هـ.

تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحّاته، دار إحياء التراث (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

تيسير الكريم الرحمن، لعبد الرحمن بن ناصر السّعدي، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطّبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطّبريّ)، لمحمّد بن جرير الطّبريّ، تحقيق: الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، الطّبعة الرّابعة.

دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لعبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي (القاهرة).

شرح أبيات مغني اللّبيب، لعبد القادر البغداديّ، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميّة (بيروت)، الطّبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

صفوة التّفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابونيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع (القاهرة)، الطّبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطّبعة الثّالثة، ١٤٠٧هـ

الكليّات، لأبي البقاء الكفويّ، تحقيق: عدنان درويش ومحمّد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة (بيروت).

لباب النّقول، لجلال الدّين السّيوطيّ، ضبطه وصحّحه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية (بيروت).

المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدّين بن الأثير، قدّمه وعلّق عليه: د. أحمد الحوفيّ، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، الطّبعة الثّانية.

محاسن التنزيل (تفسير القاسميّ)، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٨هـ.

المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لمسلم بن الحجّاج النّيسابوريّ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربيّ (بيروت).

معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدّين السّيوطيّ، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

المقاصد النّحوية، لبدر الدّين العينيّ، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة (القاهرة)، الطّبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

لطائف الإشارات (تفسير القشيريّ)، لعبد الكريم بن هوازن القشيريّ، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر)، الطّبعة الثّالثة.

معالم التنزيل (تفسير البغوي)، لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغويّ، تحقيق: محمّد عبد الله النّمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الطبعة الرّابعة.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن البقاعي، دار الكتاب الإسلاميّ (القاهرة).

Opposite Deletion in Holey Qura'n Al-Imran as A model: Rhetoric study

Abstract

This research deals with an important aspect of the rhetorical miracle of the Holy Qur’an, as it reveals the art of opposite deletion in Surat Al Imran, where this Surah is filled with a multitude of examples of this unique color that requires a lot of contemplation and thought in assessing the omitted; So that it does not prejudice the facts of the Qur’anic meaning, or contradict what the noble verses refer to, which is an ancient art known to the Arabs as an aesthetic approach for writing, and it is frequently mentioned in the Holy Qur’an, this research dealt with ten study models.

keywords: opposite deletion, Al-Imran, Exegesis Scholars, Rhetorical, Deleted, Assessment.